الإبـاضيـة المعاصرون
دراسة تحليلية

دكتورة/جيهان عبدالوهاب صبان
الأستاذ مساعد – قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين– جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحمد لله الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الأمة ستختلف من بعده إلى فرق عديدة، مخالفة لما جاء به عليه الصلاة والسلام، محذراً منها؛لأن مآلها إلى النار، إلا من كان متمسكا بهديه، مقتديا به، صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[(١)].

ومن تلك الفرق المخالفة التي أخبر عنها عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف: فرقة الإباضية، التي اخترتها بهذا البحث المتواضع وسميته:" **الإباضية المعاصرون**".

أولا: مشكلة البحث:

إن الإباضية المعاصرين ينفون نسبتهم إلى الخوارج نفياً تاماً من العقائد، وهذا ما أحاول كباحثة إثباته من خلال البحث.

ثانيا: أهداف البحث:

- التعرف على مذهب الإباضية المعاصرة،المخالف لأهل السنة والعقيدة الصحيحة.
- توضيح أهم معتقداتهم ومنهج الاستدلال لديهم .
- بيان موقف أهل السنة من مذهب الإباضية.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٦) (٢٦٤١)،عن عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٤٣) (٥٣٤٣).

ثالثا: تساؤلات حول البحث:

١- من هم الإباضية، وما منشأهم، وأماكن وجودهم، وأهم فرقهم؟

٢-ما أهم معتقدات الإباضية ومنهجهم في الاستدلال؟

٣ - ما علاقة الإباضية بالخوارج والشيعة والمعتزلة.

٤- ما موقف أهل السنة من الإباضية.

رابعا: حدود البحث:

الموضوعية: الإباضية المعاصرون ومعرفة معتقداتهم وصلتهم بالخوارج.

خامسا: أسباب اختيار البحث:

١- إن الإباضية فرقة معاصرة تنكر أنها تنتمي إلى الخوارج، ومع هذا تتفق معهم في العديد من المعتقدات.

٢- ظهور العديد من كتب فرقة الإباضية التي انتشرت في المعارض والمكتبات، مما يدل على نشاط هذه الفرقة والدعوة لنشرها.

٣- معرفة موقف أهل السنة من مذهب الإباضية بالأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

سادسا: الدراسات السابقة للبحث:

- الإباضية، عقيدة وفكرا، لعبدالرحمن المصلح، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد ابن سعود، ١٤٠٣هـ.
- تحقيق كتاب كشف الغمة والجامع لأخبار الأمة لمصنف مجهول،الباحث أحمد عبيدلي، إشراف د. إحسان عباس، تونس، رسالة ماجستير مقدمة من المعهد العالي للدراسات الإسلامية، المقاصد، عام ١٤٠٥ه.
  وهذا الكتاب ألف في تاريخ الإسلام الإباضى، والفقه والعقائد ويتطرق للمصادر التاريخية العُمانية.
- دراسات إياضية. د. عمرو خليفة النامي، رسالة دكتوراه، جامعة كامبريدج، عام ١٩٦٥م.
- الشيخ علي يحيى بن معمر وفكره العقدي، قاسم الحاج، رسالة ماجستير، جامعة الخرورية، الجزائر، ١٤٢١ه.
- الشيخ نور الدين السلفي، مصطفى بن محمد شريفي، رسالة ماجستير،جامعة الخرورية، عام ٢٠٠١م.

- الإباضية، نشأتها ، وعقائدها، محمد حسن مهـدي، ط، الأهليـة للنـشر، عـام ٢٠١١م.
- الآراء العقدية عند الإباضية حتى القرن الثالث، ابن دريسو مـصطفى، رسـالة ماجستير، جامعة بغداد، عام٢٠٠١م.

سابعا: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كون الإباضية المعاصرين هل هم أنفسهم الموجـودين بكتـب التاريخ الذين تأثروا بالخوارج في العديد من معتقداتهم خاصة، موقفهم من صـفات الله وغلوهم في التنزيه لدرجة التعطيل.

وهذا ما سأتطرق إلى كشفه كباحثة في هذه الرسالة،وتتجلى منها علاقة معتقداتهم بعقيدة الخوارج التي ينفون النسبة إليها.

ثامناً : منهج البحث:

المنهج التحليلي النقدي، الذي يقوم على التعريف بفرقـة الإباضـية وأهـم معتقـداتهم، وعلاقتهم بالخوارج وتأثرهم بالمعتزلة والرد عليهم بنصوص القـرآن الكـريم والـسنة النبوية وأقوال السلف رحمهم الله.

تاسعاً: منهج الباحثة:

١-عزو الآيات الكريمة للسور القرآنية بالهامش.

٢- تخريج الأحاديث الشريفة من مصادرها المعتمدة بالهامش.

٣- توثيق النصوص من مصادرها بذكر اسم الكتاب والمؤلف والطبعة ودار النشر.

٤- فهرسة المراجع بحسب الأبجدية بنهاية البحث بعد فهرسة الآيات والأحاديث.

٥- لم أتطرق للتعريف بالأعاجم والمدن .

٦- حين أذكر أنظر يكون النقل بالنص، وحين أذكر ينظر يكون النقل بتصرف.

عاشراً: خطة البحث:

وتحتوي على مقدمة، وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وفهارس متنوعة، وهي كالآتي:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة البحث، وأسباب اختياره، والدراسـات الـسابقة للبحـث وأهمية البحث وأهدافه والتساؤلات حوله، وحدوده ومنهج البحث والباحثة.

التمهيد:يحتوي على نبذة تاريخية عن نشأة الإباضية، ونسبتهم وأمـاكن وجـودهم،وأهم وأبرز شيوخهم المعاصرين، وكتبهم، وعلاقتهم بالخوارج.

المبحث الأول:أهم عقائد الإباضية، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج الإباضية في الاستدلال، وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: موقف العقل من النقل.

الفرع الثاني: التأويل.

الفرع الثالث: موقفهم من خبر الواحد.

المطلب الثاني: موقف الإباضية من بعض مسائل التوحيد، وفيه فرعان.

الفرع الأول: الإيمان.

الفرع الثاني: حكم مرتكب الكبيرة عند الإباضية.

المطلب الثالث: موقف الإباضية من الصفات الإلهية والرؤية،وفيه فرعان.

الفرع الأول: تعطيل الصفات.

الفرع الثاني: نفي رؤية الله عز وجل.

المبحث الثاني:علاقة الإباضية بالمعتزلة والشيعة والخوارج وأهل السنة.

المطلب الأول: علاقة الإباضية بالمعتزلة والشيعة والخوارج.

الفرع الأول: علاقتهم بالمعتزلة.

الفرع الثاني: علاقتهم بالشيعة.

الفرع الثالث: موقف الإباضية من الخوارج.

المطلب الثاني: أهل السنة والإباضية.

الخاتمة: واشتملت على النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

والله ولي التوفيق.

التمهيد:

إن الله تعالى نهى عن التشيع والتحزب؛ لأنه يؤدي إلى الاختلاف والافتراق والبعد عن الدين، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾الأنعام: ١٥٩.

وقد فهم المسلمون الأوائل هذا الدين الحنيف وما يأمر به عز وجل أن تتوحد كلمة هذه الأمة، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ المؤمنون:٥٢. ولكن خلف من بعدهم خلف اختلفوا في دينهم، فتفرقت الأمة إلى شيع وأحزاب ومذاهب عصبيات.

وقد كان أول بذور الاختلاف بين المسلمين يرجع إلى منافقي هذه الأمة في فرض النبوة، حيث لم يرضَ هؤلاء بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، وجادلوا بالباطل، ومن ذلك ما كان من حديث (ذي الخويصرة التميمي) عندما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اعدل يا محمد بأنك لم تعدل. وكان عليه الصلاة والسلام يوزع الغنائم بين المسلمين في إحدى الغزوات، فقال عليه الصلاة والسلام: (إن لم أعدل، فمن يعدل)، فعاود اللعين يقول: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله.

وبذلك يعتبر خروجا صريحاً على النبي صلى عليه وسلم، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية)[(١)(٢)].

وهذا أول خارجي خرج في الإسلام ورضي برأي نفسه ورفض رأي النبي صلى الله عليه وسلم، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهناك أقوال عديدة عن نشأة الخوارج:

فمنهم من يرى أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه وهي الفتنة التي انتهت بقتله.

نبذة تاريخية عن نشأة الإباضية :

وهذه هي بداية النشأة التاريخية لمذهب الإباضية، فهي بهذا يكون ظهورها إبان خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعقب معركة صفين فارقه معظم من كانوا معه؛ استنكارا لقبوله لمبدأ "التحكيم مع معاوية رضي الله عنه"[(٣)].

---

(١)صحيح البخاري، دار طوق النجاة (٤/ ١٣٧) (٣٣٤٤)،صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٢/ ٧٤٢) (١٠٦٤).

(٢)الإباضية نشأتها وعقائدها،محمد حسن مهدي، ٢٠١١م، ط١، دار الأهلية للنشر، ص(١٧)، بتصرف.

(٣)البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير ص٥٧٧٤، دار إحياء التراث العربي، ط١.

وأما الإباضية تقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق، وهذا لم يقل به غير علي يحيى معمر، تبعا لقطب الأئمة الإباضية أبي إسحاق اطفيش، لتفهيم وجود صلة ما بين فرقة الإباضية والمحكمة والأزارقة وبين الخوارج، وتسلسل الأحداث يثبت غير ذلك(١).

الاختلاف ظهر مع ظهور مبدأ التحكيم وتصاعدت الأزمة، وانعزل عن جيش المسلمين الآلاف، وذكر ابن كثير أنهم ستة عشر أو اثني عشر ألفا عند (حروراء) بالكوفة ونشطت الوشايات والدسائس حتى نشأت ثلاثة أحزاب تتقاتل فيما بينها حول موضوع الخلافة:

الحزب الأول: شيعة بني أمية، وتركزوا في الشام، وانضم إليهم الكثير من الأمصار الإسلامية، التي ترى أن تكون الخلافة في قريش وأن البيت الأموي أحق بها.

الحزب الثاني: شيعة علي بن أبي طالب، وكانوا ببلاد العراق، وقليل منهم بمصر، ويرون أن تكون الخلافة في قريش وأن عليًّا وأولاده أحق بها من غيره من المسلمين.

والحزب الثالث: الخوارج،وقد ناصبوا العداء للفريقين ، واستحلوا دماءهم، وهم يرون أن الخلافة حق لكل مسلم ما دام كفؤا من قريش، أو غير قريش(٢).

وتصاعدت الأزمات وكثرت المحاربات بين جيوش معاوية وبين الخوارج، وكان قائدهم وقتئذ:عمران بن حطان الخارجي الذي انضوى تحت لوائه عناصر مختلفة من الخوارج.

وفي عهد عبد الملك مروان اشتد القائد عبيد الله بن زياد على الخوارج، وكانوا اجتمعوا بقيادة نافع بين الأزرق، وقد استغلوا رفض الزبير بن العوام في مكة مبايعة بني أمية،وتوجهوا بجيشهم إلى الحجاز على أمل أن يكون ابن الزبير على رأيهم، وبالفعل قد تجمعوا وتوجهوا لها وحاصروها، وقابلوا ابن الزبير، فوافقهم من غير تفصيل، على أمل أن يخرجوا معه في قتال بني أمية، فقاتلوا معه جيش بني أمية، لكن جيش بني أمية تمكنوا من قتل عبدالله بن الزبير عقب انصراف الخوارج عنه حين سألوا رأيه في عثمان بن عفان ولم يتبرأ منه، فتبرأوا منه من أجل ذلك(٣).

(١)الإباضية عقيدة ومذهباً، د. صابر طعيمة ــ دار الجيل - بيروت، ص ١٧.

(٢)الإباضية عقيدة ومذهباً، د. صابر طعيمة ــ دار الجيل - بيروت، ط١، ص ١٧.

(٣)الكامل في التأريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان (١٦٧/٤)، الإباضية عقيدة ومذهبا، د. صابر طعيمة ص ٢٢.

وقبل أن نذكر عقائد الإباضية وفكرهم وفرقهم لا بد أن نلقي نظـرة علـى موضـوع الخلافة وبعض الممارسات للخوارج، والتي كانت تمثل جذراً تاريخياً لنـشأة المـذهب الإباضي، وذلك باعتبار أن عبدالله بن إبـاض، والـذي تجمـع المـصادر التاريخيـة والإباضية على نسبة المذهب إليها كان واحداً من قيادات الخـوارج، وخاصـة عنـدما توجهوا إلى الحجاز لنصرة عبدالله بن الزبير ثم حدث ما حدث من أن خذلوه.

إلا أن عبدالله بن إباض سجل له التاريخ موقفاً يحمد عليه، وهو أنه لم يخرج بعد لقـاء ابن الزبير مع نافع ابن الأزرق، وأنه برئ منه ومن ابن الصفار [١].

وهذا يوضح لنا الصلة بين مؤسس المذهب الإباضي وحركـة الخـوارج، وإن كانـت العلاقة اختلفت في بعض الآراء، فهذا لا يمنع انتماءه التاريخي يـشكل مـذهبا جـذره التاريخي منطلق من تيار الخوارج.

الإباضية نسبتهم وأماكن وجودهم وأهم فرقهم :

مما سبق يتبين لنا أن الإباضية هم أصحاب (عبدالله بن إباض)، وهو ينسب إلى قريـة بأرض اليمامة تسمى إباض[٢].

وهم من فرق الخوارج التي امتازت باعتدالهم بالنسبة لفرق الخوارج الأخـرى، وهـم يرون أنهم من أهل السنة،وينفون وصفهم بالخوارج، بسبب بعـدهم عـن العنف،مثـل طوائف الخوارج الأخرى.

وكان لهم انتشار في بعض الأقاليم الإسلامية، مثل الشمال الأفريقي الذي كانت لهم بـه دولة عمّرت قرابة قرن ونصف القرن من الزمان، كما كان لها وجـود فـي الجزيـرة العربية وهي منتشرة الآن في كلمن عُمان وحضرموت، ولها وجود في اليمن والمغرب العربي وبعض الواحات في صحراء مصر الغربية، وفي دولة زنجبار الأفريقية[٣].

من أهم فرقهم :

الحفصية:هم أصحاب حفص بن أبي المقدام، تميز عنهم بـأن قـال: إن بـين الـشرك والإيمان خصلة واحدة، وهي معرفة الله تعالى وحده، فمن عرفه ثم كفر بما سواه مـن رسول أو كتاب أو قيامة أو جنة أو نار، أو ارتكب الكبائر من الزنا، والسرقة، وشـرب الخمر، فهو كافر لكنه بريء من الشرك.

(١)الكامل في التأريخ، ابن الأثير (١٦٧/٤).

(٢)معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت (١/ ٦٠).

(٣) الفرق الإسلامية، أ.د. محمود مزروعة، دار الرضا، الجيزة، ط٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

الحارثية:أصحاب الحارث الإباضي، خالف الإباضية في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة، وفي الاستطاعة قبل الفعل، وفي إثبات طاعة لا يراد بها الله تعالى.

اليزيدية:أصحاب يزيد بن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة، وتبرأ ممن بعدهم إلا الإباضية فإنه يتولاهم، وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم، وينزل عليه كتابا قد كتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى محمد عليه السلام، ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن، وليست هي الصابئة الموجودة بحران، وواسط.

وَمن الأباضية فريق يُقَال لَهُم: أَصْحَاب طَاعَة لَا يُرَاد الله بهَا، وَهَؤُلَاء يَقُولُونَ بِجَوَاز طاعات كَثِيرَة من العَبْد لَا يقْصد بهَا طَاعَة ربه، كَمَا كَانَ يَقُوله أَبُو الْهُذيْل المعتزلي[(١)].

وقد أنكر مؤرخو الإباضية علاقة هذه الفرق الأربع بالإباضية التي أرسل قواعدها (عبدالله بن إياض)، ثم استوت قواعدها على أيدي أئمة مجتهدين.

وهناك فرق ستة ظهرت في عهد الدولة الرستمية الإباضية التي شهدها المغرب الإسلامي، ومع هذا يرفض الإباضيون أن يصيروها فرقا إياضية، ولذا سأذكر أسماءهم فقط؛ لأنهم يعتبرونهم ابتدعوا ابتداعاً لأغراض أخرى لا صلة لها بالمعتقد الإباضي، وهم (النكارية – الخلفية- النفاثية- الحسينية- السكاكية الفرثية)،وقد أبى المؤرخون الإباضيون أن يعتبروا بعض هذه الفرق منتمياً للمذهب الإباضي أو للإسلام عامة.

- أهم شيوخهم وأبرز المعاصرين منهم:

عبدالله بن إباض :

عبدالله بن إباض التميمي، خرج في أيام مروان بن محمد في أواخر الدولة الأموية، والبعض يرى أنه انشق عن نافع بن الأزرق لتشدده وأنه كان معه، ولكن حين رأى استحلاله لدم مخالفيه دون أموالهم انشق عنه[(٢)].

ورغم أن المذهب الإباضي ينسب إلى عبدالله بن إباض، لكنه لا يوجد في المصادر الإباضية ولا غيرها إلا مقتطفات عن سيرته التاريخية، (وله مناظرات مع الخوارج وغيرهم) [(٣)].

(١) ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الطبري، عالم الكتب – لبنان (ص: ٥٩)، الملل والنحل، الشهرستاني دار المعرفة – بيروت ، ط١٤٠٤ه (١/ ١٣٥).

(٢)تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٣٨/٢)، ولسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٤٨)، ط٣، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعظمي –بيروت.

(٣)السير، للشماخي، نقلاً عن كوكب المعرفة (الإباضي) www.ibadhiyah.net

ولا يعرف تاريخ مولده، ولا تاريخ وفاته بالتحديد ولكنه أدرك معاوية بن أبي سفيان، وهو شاب وعاش إلى زمن عبدالملك بن مروان، فعاش في الفترة التي كان فيها جابر بن زيد ونافع بن الأزرق.

ويرى الإباضيون أن له مواقف جدلية مع الخوارج، وكان كثيراً لنقد الأمويين بابتعادهم عن منهج الخلفاء الراشدين، ونسبت إليه الإباضية من الأمويين، ولكن متأخراً انتشرت على ألسنة الجميع، فهو أحد الأئمة السياسيين الإباضية، ولكنه لم يشهر سيفه ضدهم إلا دفاعاً عن الكعبة المشرفة مع عبدالله بن الزبير(١).

وجاء في مصادر الإباضية (أن المسلمين بعد قتل جابر بن زيد عزموا الخروج وفيهم عبدالله بن إباض ونافع بن الأزرق، فلما جنّ الليل وسمع صوت المؤذنين والقرّاء، قال لأصحابه : أعن هؤلاء أخرج، فرجع وكتم أمره واختفى) (٢).

وقد ذكر الطبري أن ابن الأزرق أرسل رسالة لابن إباض للخروج فرد عليه: (قاتله الله، أي رأي رأى، صدق نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين كان أصوب للناس رأياً وحكماً، ولكنه كذب، إن القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم بُرآء من الشرك، وما سوى ذلك من أموالهم فهو حرام علينا) (٣).

ومنهم: الشيخ نور الدين عبدالله بن حميد بنسلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس،أبو محمد السالمي، من بني ضيه، فهو من قبيلة السوالم ، ويرجع أهل هذه القبيلة إلى نزار بن معد، كنى بأبي محمد، نسبة إلى أكبر أبنائه محمد بن عبدالله، اختلف في سنة ولادته فقيل: سنة (١٣٨٣ه)، أو سنة(١٩٨٤ه)، ببلدة الحوقية من أعمال ولاية الرستاق بمنطقة الباطنة، وفيها نشأ.

ومن مؤلفاته:

- رسالة في التوحيد، وهي في بيان العقيدة باختصار.
- اللمعة المرضية في أشعة الإباضية، رد فيه على من قال: إن الإباضية لم يكن لهم وجود إلا بعد المذاهب الأربعة، وأنه لا يوجد لهم مؤلفات قديمة.
- أنوار العقول، أرجوزة في علم الكلام في ثلاثمائة بيت.
- كشف الحقيقة في الرد على من جهل الطريقة، أرجوزة في حقيقة.

(١)الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، عوض محمد خليفات، ص ١٠- ١٣.

(٢)العقود الفضية، ص٢١.

(٣)تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٩).

وقد كتب في الفقه والحديث وأصول الفقه والنحو والتاريخ والعروض.

وتوفي في ربيع الأول عام ١٣٣٦هـ، ودفن على سطح الجبل الأخضر ببلدة (تتوف) وقبره معروف حتى الآن[١].

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم أطفَيَّش.

وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف أطفَيَّش، ولد ببلدة (بني يزقن)من قرى (وادي ميزاب) جنوب الجزائر، التحق بجامع الزيتونة ضمن بعثة علمية بعد حفظه القرآن الكريم.

ومن أعماله:

- تحقيق وتصحيح أجزاء من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- تصحيح كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد فؤاد عبد الباقي.
- تصحيح وتحقيق أجزاء من كتاب نهاية الإرب وغيرها.
- شارك في تحرير مادة الموسوعة الفقهية، ولاسيما في ما يتعلق بالمذهب الإباضي.

وله مؤلفات عديدة، منها :الفرق بين الإباضية والخوارج، طبع عدة مرات في الجزائر ومصر.

توفي شعبان ٢٠ من شعبان، عام ١٣٨٥هـ، الموافق ١٣ من ديسمبر عام ١٩٦٥م[٢].

ومنهم: علي بن يحيى معمر.

ولد الشيخ بقرية (تكريت) من إقليم (نالوت)، من الجبل الغربي بطرابلس سنة ١٤٣٧هـ.

تعلم الفقه الإباضي على يد الشيخ عبد الله بن مسعود الباروني، وكوّن جمعية من مجموعة الشباب، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،(الجنوبية جرية)، وعرف بقصائده الشعرية وميوله الأدبية، وتوفي في صفر من سنة ١٤٠٠هـ.

ومن أهم مؤلفاته:

– الإباضية في موكب التاريخ في أربع حلقات، وطبع عدة مرات.

– الإباضية بين الفرق الإسلامية، طبع عدة مرات .

---

(١)مقال بعنوان: "نور الدين السالمي"، بقلم د. محمد صالح ناصر، من موقع أشعة من الفكر الإباضي.

(٢)مقال بعنوان: "أبو إسحاق أطيفش"، بقلم د. محمد صالح ناصر، من موقع أشعة من الفكر الإباضي.

– الإباضية مذهب إسلامي معتدل.

– الأقاليم الثلاثة وآلهة الحلوى.

– الإسلام والقيم الإنسانية.

ومنهم: شيخ إبراهيم بن عمر بيوض.

ولد سنة ١٣١٣هـ، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على يد مشايخ مشهورين آنئذ، وكان يتصف بالذكاء وقوة الحافظة، والفصاحة، وأهم ما تركه هو تفسيره لكتاب الله، مستخدما المنهج الإصلاحي.

ومن آثاره الفكرية:

– دروس في الدين والتربية والثقافة والاجتماع والسياسة، مسجلة في مئات من الأشرطة.

ب – البدعة مفهومها وأنواعها.

ج – فتاوى الشيخ بيوض، وهو في جزأين، جمعه وحققه له الأستاذ بالحاج بكير.

ومن علمائهم المعاصرين : أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي

- مفتي عام سلطنة عمان الشيخ الخليلي: هو من أعيان ولاية بهلا بمحافظة الدنحلية بسلطنة عمان، عرف بصلاح الأصل، وكان جده قاضياً من مواليد زنجبار في ٢٧ يوليو ١٩٤٢م.
- درس في الكتاتيب، وتخرج منها وعمره تسع سنوات، وهو حافظ للقرآن الكريم.
- ومن مؤلفاته : برهان الحق، الحق الدامغ، جواهر التفسير، وسقط القناع، زكاة الأنعام، الإيلاء.
- ومهنته: مفتي وقاضي.
- وقد تأثر بالإمام السالمي، والإمام محمد بن عبدالله الخليلي، والشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبدي، وله من الإنتاج العلمي والدعوي ما لا يحصى.
- فله في الوعظ والإرشاد: عن طريق المحاضرات والخطب الجمعية والنصح المباشر لعامة الناس.
- المشاركة في المؤتمرات والندوات الإسلامية: والمحور الأساس له هو العمل على وحدة الأمة الإسلامية.

- وله من دروس التفسير وكتابه (جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل)(١).

وهناك العديد من علماء الإباضية المعاصرين .

علاقتهم بالخوارج:

جميع من تكلم عن الفرق من المتقدمين اتفقوا على أن الإباضية من فرق الخوارج، وكذا وكذا متقدمو علماء الإباضية أيضاً؛ إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج(٢).

ولكن إذا رجعنا إلى ما كتبه بعض الإباضية المعاصرين مثل أبي اسحاق أطفيش، وعلي يحيى معمر– نجدهم ينكرون عدّ الإباضية من فرق الخوارج.

ولقد توسع علي يحيى معمر في كتبه:"الإباضية بين الفرق الإسلامية"، و"الإباضية في موكب التاريخ"، في هذه القضية ورد كل قول يجعل الإباضية من الخوارج، منتقدا كل من أدرج الإباضية في قائمة الخوارج، واعتبر عدهم للإباضية من الخوارج خطأ كبيرا؛ لأن تاريخ الخوارج عنده يبدأ من سنة ٦٤هـ بقيام نافع بن الأزرق فمن بعده، ونفى وجود أي صلة ما بين المحكِّمة الأولى والخوارج بقيادة نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وغيرهما من الخوارج(٣).

ولا شك أن هذا القول شاذ عن أقوال من تقدمهم، كما أن فيه مغالطة تاريخية، ذلك أن الأحداث متسلسلة ومرتبطة من المحكِّمة إلى ظهور نافع بن الأزرق، بحيث يظهر أن الأولين هم سلف الخوارج.

والحقيقة أن ظهور نافع بن الأزرق كان على طريقة من سبقه في الخروج إلا أنه ساعدته الظروف بحيث تغير وضع الخوارج من جماعات صغيرة تثور هنا وهناك إلى جماعات كبيرة هزت الدولة الأموية هزاً عنيفاً في فترات متقطعة.

وزعم علي بن يحيى معمر أن لفظة الخوارج كاصطلاح على جماعة، لم يكن معروفاً بين الصحابة، وهذا غير صحيح، لأن لفظة الخوارج وردت في الأحاديث وفي كلام الصحابة كثيراً كعلي وعائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة.

---

(١)إسلام ويكيبيديا. www.islamw.org

(٢) ينظر مثلا: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة – بيروت (ص: ٥٤)،الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي – القاهرة (٤/ ١٤٥)،الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١١٥).

(٣) انظر: الأباضية بين الفرق الإسلامية، علي يحيى معمر، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، ص ٣٧٧ و ٣٨٣، والأباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة وهبة ط ١، القاهرة، ص ٦٢.

ونذكر فيما يلي بعض النصوص من كلام علماء الإباضية في مدح الخوارج:

قال مؤلف كتاب الأديان وهو إباضي: "الباب الخامس والأربعين في ذكر فرق الخوارج، وهم الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب لما حكَّم، ثم أخذ يذكر الخوارج بهذا الاسم في أكثر من موضع من هذا الكتاب على سبيل المدح قائلا: هم أول من أنكر المنكر على من عمل به، وأول من أبصر الفتنة وعابها على أهلها، لا يخافون في الله لومة لائم، قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى"، إلى أن يقول:

"وتتابعت الخوارج وافترقت إلى ستة عشر فرقة بفرقة أهل الاستقامة يعني: الإباضية"(١).

ويقول نور الدين السالمي في مدح الخوارج: "لما كثر بذل نفوسهم في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سُموا خوارج، وهو جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله. وكان اسم الخوارج في الزمان الأول مدحاً لأنه جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله"(٢).

وفي مدحهم للخوارج ما يدل على رضاهم بعملهم، وتوليتهم لهم، وموافقتهم لكثير من آرائهم، كما سيأتي.

ومن هنا فلا يخطئ من ألحق تسمية الإباضية بالخوارج، ولا سيما أنه قول جميع تكلم في الفرق والأديان من المتقدمين، إلا أنه يبقى ما تميز به الإباضية من تسامح، أو تسامح أغلبيتهم تجاه مخالفيهم قائماً وثابتاً لهم، مع ما يظهر أحياناً في بعض كتب الإباضية من الشدة والقسوة تجاه المخالفين لهم والحكم عليهم بالهلاك والخسران.

(١)كتاب في الأديان لمؤلف أباضي مجهول الاسم ص: ٩٦.

(٢)نقله عنه على يحيى معمر الأباضي، من كتابه: الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٨٤.

المبحث الأول
عقائد الإباضية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج الإباضية في الاستدلال.

الفرع الأول: موقف العقل من النقل.

يحتلّ العقل عند الإباضية منزلة كبيرة، فهم يقدمون العقل على النقل عند توهم التعارض بينهما، كما يظهر ذلك جليا في تعاملهم مع نصوص الشرع، غير أن منهم من لم يصرح بذلك، وهم الجمهور، كما ذكره السالمي، ناقلا عنهم[١].

ومنهم من صرح بتقديم العقل على النقل، كمحمد بن سعيد القلمهاني[٢]، وعبد العزيز بن سعيد الثميني[٣]، وعدّ أن العقل أصل النقل.

والناظر في أقوالهم يلاحظ تخبطهم واضطرابهم في هذه المسألة وتلبيسهم على عوامهم، وإيهام جماعة منهم إياهم بأنهم يقدمون النقل على العقل، والحقيقة أنهم متفقون على تأويل النقل وتقديم العقل عند تعارضهما، ويمكن رد شبهة تقديم العقل على النقل في النقاط الآتية:

١. أن الله جعل للعقل قدرة، لا يسعه أن يتجاوزها ويتعداها، فأمر الله عند الاختلاف بالرجوع إلى الكتاب والسنة لا إلى عقل أولئك، فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:٥٩.

والكتاب والسنة مليئان بالرد إليهما عند التنازع والاختلاف، ومن كان عنده أدنى نظر فيهما علم ذلك قطعاً.

٢. أن تقديم العقل على النقل قدح في العقل، يقول ابن أبي العز الحنفي : "وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي

---

(١) ينظر: معارج الآمال على مدارج الكمال، عبد الله بن حميد السالمي، رزواة التراث القومي، سلطنة عمان، مشارق، أنوار العقول، نور الدين السالمي ، تحقيق عبد المنعم العاني، ط١، دار الحكمة، دمشق، ص(٤٢/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان، محمد بن سعيد القلمهاني (٣٩/١).

(٣) ينظر: معالم الدين، عبد العزيز بن إبراهيم الثميني، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان (١٩٣/٢).

دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلا صحيحا، وإذا لم يكن دليلا صحيحا لم يجز أن يتبع بحال فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل(١).

٣. أن العقل مصدق للشرع فيما يخبر به ولا عكس، يقول شيخ الإسلام بن تيمية: "إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل"(٢).

٤. وهو وجه عظيم لطيف ، مضمونه: أننا لو سلمنا بتقديم العقل على الشرع لم يرتفع الاختلاف، ولم يحصل الاهتداء؛ بل أصبح الناس مضطربين في أمور معاشهم ناهيك عن اضطرابهم في عقائدهم ومفاهيمهم؛إذ ليست عقول الناس متحدة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول، وذلك لأن كون الشيء معلوما بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيدا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر، والمسائل التي يقال: إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء ولم يتفقوا فيها، على أن موجب العقل كذا، بل كل من العقلاء، يقول: إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر: إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه، بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون: إنه من العلوم الضرورية، فيقول هذا: نحن نعلم بالضرورة العقلية، ما يقول الآخر:إنه غير معلوم بالضرورة العقلية(٣).

هذا غيض من فيض في الشبهة وردها، وإلا فإن الكلام يطول في ذلك ويتشعب، لكثرة المفتونين بها، وهذا كاف لكل يريد من إتباع الحق.

الفرع الثاني: التأويل.

للتأويل ثلاثة معان، فقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله: بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عن المخبر به، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به. كما

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ٢١٧/١.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية ١٣٨/١.

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ١٤٤/١.

قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن(١).

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ الأعراف: ٥٣. ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل العمل، كقوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ يوسف: ١٠٠.

فهذا معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السلف، وسواء كان هذا التأويل موافقا للظاهر أو مخالفا له.

ويأتي التأويل بمعنى: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف وواقع في كلام كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقه، ويرد باطله، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله(٢).

والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدلالة توجب ذلك.

وهذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية، فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد(٣).

فالتأويل منه ما هو صحيح، ومنه ما هو فاسد، وهذا الأخير هو كثيرا ما يستعمله الإباضية.

قال ابن القيم في الصواعق: وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود(٤).

---

(١)صحيح البخاري (١/ ١٦٣) (٨١٧)، صحيح مسلم (١/ ٣٥٠) (٤٨٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، تحقيق سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (٢/ ١١).

(٣) ينظر:شرح الطحاوية، ابن أبي العز (ص: ٢١٣) بتصرف.

(٤) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض (١/ ١٨٧).

فأساس التأويل عند الإباضية دعوى تعارض العقل مع السمع، مما يوجب اعتبار ظاهر النص مؤولا بما يوافق العقل، فقدموا الأدلة العقلية على المعاني الصحيحة للأدلة الشرعية، بدعوى أن الأدلة العقلية قطعية![1].

والحقيقة أن ما يعارض الكتاب والسنة من المجهولات لا من المعقولات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التدمرية[2].

والمقصود أن ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإنما يظن تعارضها: من صدق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه، أو اعتقد شيئا ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أو من الكشوفات وهو من الكسوفات[3].

فالإباضية وغيرهم من أهل البدع اضطربوا كثيرا في ذلك التأويل، فليس عندهم قانون مستقيم فيه، فلا يميزون بين النصوص التي تحتاج إلى تأويل، والتي لا تحتاج إلى تأويل.

وهذا هو التأويل الباطل الذي ذمه السلف، وأنكره أشد الإنكار، وهو الذي فرق اليهود إحدى وسبعين فرقة والنصارى ثنتين وسبعين فرقة وهذه الأمة ثلاثا وسبعين فرقة[4].

وهذا هو أحد الطواغيت التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين وانتهكوا بها حرمة القرآن ومحوا بها رسوم الإيمان[5].

الفرع الثالث: موقفهم من خبر الواحد.

يذهب الإباضية إلى أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في العقائد، وفاقا للمعتزلة، خلافا لأهل السنة الذين يرون حجيتها[6].

---

(١) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١/ ٢٦٥-٢٦٩)، الإباضية وهل هم خوارج، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، (ص: ١٢).

(٢) ينظر:الرسالة التدمرية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر(ص: ١٤٩).

(٣) ينظر:الرسالة العرشية، ابن تيمية،المطبعة السلفية، القاهرة، مصر (ص: ٣٥).

(٤) ينظر:الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم (١/ ٣٥٥).

(٥) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم (٢/ ٦٣٢).

(٦) ينظر: الحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، ص١٩٧، ط١٤٠٩ه، مطابع النهضة، مسقط، الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت (١/ ١١٩).

وهو قول مردود بالإجماع والسنة الثابتة، وقد حكى القاضي أبو يعلى إجماع الصحابة رضي الله عنهم على العمل بخبر الواحد(١).

يقول الشافعي: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد(٢).

ويقول ابن عبد البر " أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار – فيما علمت – على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء، في كل عصر، من لدن الصحابة إلى يومنا هذا"(٣).

ومما يدل على حجية أخبار الآحاد:عمل النبي صلى الله عليه وسلم من إرسال آحاد الصحابة إلى الملوك في زمانه، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وقد حصل بها تبليغهم الرسالة التي كلفه الله بها، ولو كان خبر الواحد لا يقبل في الأصول للزمه أن يبعث إلى كل قطر جماعة يبلغون حد التواتر، ليحصل العلم بخبرهم، ولو فعل ذلك لم يبق معه في المدينة أحد.

ولما لم يقع هذا، أفاد اكتفاؤه بالواحد حصول العلم، ووجوب الالتزام بخبر الواحد في الأصول والفروع، وهو المراد(٤).

والحاصل أن الطعن في أخبار الآحاد يلزم منه الطعن في الشريعة ، وذهاب الدين ؛ لأن رواة هذه الأخبار هم رواة الأحكام ، وعليهم الاعتماد في بيان الحلال والحرام في الدين ونقل مسائل الدين.

يقول محمد الأمين الشنقيطي بعد أن قرر وجوب الأخذ بالآحاد في العقيدة:

"وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد ، ولا يثبت بها شيء من صفات الله ، زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين ، وأن العقائد لا بد فيها من اليقين ، باطل لا يعول عليه ، ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد تحكيم العقل"(٥).

---

(١) ينظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى ، تحقيق: د أحمد بن علي المباركي، ط٢، (٣/ ٨٦٥).

(٢) ينظر: الرسالة، الشافعي، مكتبه الحلبي، مصر ط١،ص (١٩٧).

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، (١/ ٣).

(٤) ينظر: تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض (١/ ٧٣).

(٥) ينظر: مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (ص: ١٢٤).

المطلب الثاني: موقف الإباضية من بعض مسائل التوحيد:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإيمان.

يذهب جمهور الإباضية في حقيقة الإيمان إلى أنها تشتمل على ثلاثة مقومات، فالاعتقاد بالقلب هو المقام الأول، والإقرار باللسان هو المقام الثاني، والعمل بالجوارح هو المقام الثالث.

فالإقرار باللسان في الإيمان أمر مطلوب وأساسي لديهم؛ تجنبا من الوقوع مع الذين ذمهم الله في قول الله تعالى:﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ المائدة: ٤١، فالإيمان عند هؤلاء لم يتجاوز حد اللسان، ولم يخلص للقلب.

كما أن العمل بالجوارح عندهم هو الدليل على صحة الاعتقاد وصدق اللسان، فلا يتحقق الإيمان عندهم إلا بالأعمال.

وعلى سبق يتضح أن معظم الإباضية ووافقوا السلف في حقيقة الإيمان من أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان[١].

وأما مذهبهم في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فقد تفرقوا فيها إلى فرقتين:

فرقة تقول بزيادة الإيمان ونقصانه، وأنه يزيد ويقوى بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

وممن قرر بهذا عبد العزيز المصعبي الإباضي في شرح القصيدة[٢]، وبهذا هم موافقون لأهل السنة والجماعة.

وفرقة أخرى تقول: إن الإيمان يزيد ولا ينقص.

وممن قرر بهذا السمائلي من كبار الإباضية في أصدق المناهج[٣]، وعبد الله السالمي في كتابه مشارق أنوار العقول، وقال: "الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره" [٤].

---

(١) ينظر: الإباضية عقيدة ومذهباً، د. صابر طعيمة، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام.

(٢) ينظر: شرح القصيدة النونية، عبد العزيز المصبعي، طبعة عالم الفوائد، ص ٢٤٠.

(٣) ينظر: أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج،السمائلي، وزارة التراث القومي سلطنة عمان ص ٣٣.

(٤) ينظر: مشارق أنوار العقول، نور الدين السالمي،طبعة دار الجيل – بيروت (ص ٣٥- ٣٦).

وقال المعلق على الكتاب أحمد الخليلي، وهو من الإباضية المعاصرين: "ذهب أصحابنا رحمهم الله إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهذا المذهب إذا تؤمل لــه أصــالته فــي العقيدة سواء حملنا الإيمان على حقيقته اللغوية أو حقيقته الشرعية[1].

وهذا قول مخالف لآيات القرآن وأحاديث كثيرة وإجماع السلف، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّــهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣، ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُــمْ زَادَتْــهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ التوبة: ١٢٤، وغيرها من الآيات الكثيــرة، وفيها الدلالة على زيادة الإيمان فقط، فهي تدل على نقص الإيمان بــاللزوم، وذلــك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه الــنقص، ولأن الزيــادة لا تكون إلا عن نقص[2].

وقال أبو عمر بن عبد البر:"أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمــل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[3].

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله:"وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعــة ويــنقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به، ولا جهل بــه، لأن ذلــك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنــا وطاعــة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كنا جميعاً مؤديين للواجب علينا"[4].

الفرع الثاني: حكم مرتكب الكبيرة عند الإباضية.

قسم الإباضية الكفر إلى قسمين:

القسم الأول: كفر الشرك، وقالوا فيه بما يقول فيه جميع المسلمين، من أن صاحبه كافر في الدنيا والآخرة وأنه مخلد في النار.

القسم الثاني: كفر النعمة، ويطلقونه على كل من اقترف كبيرة من كبائر الــذنوب، فــلا خلاف عندهم أن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها فهو في الآخرة كافر مخلد فــي النار ،وفاقا للمعتزلة والخوارج.

وأما في الدنيا فهم قرروا أن مرتكب الكبيرة تحكُم عليه في الدنيا بأنَّهُ كافر كُفْر نعمة أو كفر نفاق، أي: يحكمون عليه في الدنيا بأنه منافق، ويجعلون النفاق مرادفاً لكفر النعمــة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض (ص: ٣٥).

(٣) ينظر: التمهيد، ابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) (ص ٢٩٠).

ويسمونه منزلة بين المنزلتين، أي: بين الشرك والإيمان، وأن النفاق لا يكون إلا في الأفعال، لا في الاعتقاد [١].

وهذا قلب لحقيقة النفاق، إذ المعروف أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نفاقهم في الاعتقاد لا في الأفعال، فإن أفعالهم كانت في الظاهر كأفعال المؤمنين.

والكلام في أهل الكبائر مبسوط في موضعه من كتب التوحيد وكتب الفرق، والمقصود هنا هو التنبيه على خطأ أولئك فيما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب من المسلمين، مخالفين ما تضافرت النصوص عليه من عدم كفر مرتكبي الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررة في مذهب السلف.

وخلاصة مذهب السلف فيه أنهم يقولون: إن من مات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على التوحيد لا يخلد في النار، مهما ارتكب من الذنوب، دون الشرك بالله، وذلك استدلالاً بآيات وأحاديث كثيرة، منها: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.. ﴾ النساء: ٤٨، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أتاني آتٍ من ربي فأخبرني –أو قال، بشرني – أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»[٢].

قال البيهقي في الاعتقاد: "وعلى هذا درج من مضى من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل السنة، وإلى مثل هذا ذهب فقهاء الأمصار وقالوا في آيات الوعيد: إن ذلك جزاؤه، فإن شاء الله أن يعفو عن جزائه فيما دون الشرك فعل"[٣].

المطلب الثالث: موقف الإباضية من الصفات الإلهية والرؤية.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعطيل الصفات.

إن الإباضية وافقوا المعتزلة وغيرهم من أهل الفرق فى باب الصفات، معتمدين على عقولهم وعلى شبهات وتأويلات باطلة، فذهبوا إلى أن صفات الله هي ذاته.

(١) ينظر إلى أقوالهم في تخليد مرتكب الكبيرة: مشارق أنور العقول، السلمي ٢/١٤٣، والحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، مطابع النهضة بمسقط ١٤٠٩ ه، ص ١٨٣ – ٢٢٨، وأصدق المناهج، السمائلي ص ٢٧.

(٢)صحيح البخاري (٢/ ٧١) (١٢٣٧)، صحيح مسلم (١/ ٩٤) (٩٤).

(٣) ينظر: الاعتقاد، البيهقي،دار الآفاق الجديدة – بيروت (ص: ١٨٨).

يقول السالمي: "ذهب أصحابنا –رحمهم الله– إلى أن أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته، أي: ليس هناك أمر ثان غير ذاته العلية"(١).

وقال العيزابي منهم في صفة الاستواء: "الحمد لله الذي استوى على العرش، أي: ملك الخلق واستولى عليه، وإلا لزم التحيز وصفات الخلق"(٢).

وهذا في حقيقته نفي للصفات، ولكنه نفي مغطى بحيلة إرجاعها إلى الذات وعدم مشابهتها لصفات الخلق، وقولهم: إن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلى آخر الصفات، بمعنى أن الصفات عين الذات، فلا يثبتون وجهًا ولا عيناً ولا غير ذلك مما هو ثابت، ويؤولون ذلك بالذات.

فهم نفوا كل صفات الله بدعوى أن إثباتها يوهم المشابهة بينه وبين خلقه، كالوجه واليد والدنو والنزول وغيرها، وأوّلوا كل الآيات والأحاديث تثبت تلك الصفات؛ لأنها ظاهرها يوجب التشبيه والتجسيم.

وهذا هو مذهب الجهمية والمعتزلة القائم على النفي والتعطيل، فنفوا صفات الله عز وجل وقالوا: هو عالم بذاته، وقادر بذاته، وحي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة. ونفوا كلامه وقالوا إنه محدث مخلوق(٣).

ولا شك أن هذه تأويلات باطلة لا تتفق مع رأي السلف الذين امتنعوا عن التأويل، وأثبتوا هذه الصفات لله على ظاهرها من غير تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

وأوضحوا أنَّ إثبات الصفات لا يعني التشبيه؛لأن الاتفاق في التسمية لا يستلزم الاتفاق فى الذات، فالله سميع وبصير والإنسان سميع بصير، وبين الذاتين ما يعرفه كل عاقل من الفرق، ومن تصور التشبيه فقد جمع بين التشبيه والتعطيل(٤).

قال ابن خزيمة: "إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف: قرناً بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابه، مع اجتناب التأويل، والجحود، وترك التمثيل والتكييف"(٥).

(١) ينظر: مشارق أنوار العقول، نور الدين السالمي ص ١٧٧.

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة، العيزابي ص٦، ١٨.

(٣) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٤٤.

(٤) ينظر: أصول وتاريخ الفرق، جمع وترتيب : مصطفى بن محمد بن مصطفى (١/ ٨٩).

(٥) ينظر: ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي، الدار السلفية – الكويت (ص: ١٨).

قال ابن عبد البر: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أنّ من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله "(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها؛ وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد -إلى ساعتي هذه- عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله..."(٢).

وقال ابن القيم: "لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء، وأخبر عن نفسه بأفعال، وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط ويجيء ويأتي وينزل إلى السماء الدنيا، وأنه استوى على عرشه، وأن له علماً وحياة وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً ووجهاً، وأن له يدين وأنه فوق عباده، وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده، وأنه قريب، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتقين، وأن السماوات مطويات بيمينه، ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك، وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك"(٣).

الفرع الثاني: نفي رؤية الله عز وجل.

ذهب الإباضية تبعا لأئمتهم المعتزلة إلى نفي رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، بشبه باطلة واهية، وقرروا ذلك في كتبهم(٤).

---

(١) ينظر: التمهيد، ابن عبد البر ٧/ ١٤٥.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية (٦/ ٣٩٤).

(٣) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم (١/ ٢٢٠).

(٤) ينظر مثلاً في نفيهم للرؤية من أحد كتبهم: أصدق المناهج في تمييز إباضية من الخوارج، لسالم بن حمود الإباضي، ص ٢٧.

ومن آخر ذلك ما ذُكر في كتابه الحق الدامغ،بقوله: "وأنت أيها القاريء الكريم تدرك ببصيرتك أن الأخذ بظواهر هذه النصوص يفضي إلى ما يرده العقل ويكذبه البرهان"![1].

فإذا كان هذا موقفهم رد حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وتقديم العقل عليه، فذكر ذلك يغني عن رده، وإلا فإن رؤية المؤمنين لله عز وجل ثابتة في القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة[2].

ويطول بنا القول لو أردنا إثبات الأدلة على الرؤية وأقوال السلف في هذا الأمر، ونوجز من تلك الأدلة التي وردت في القرآن الكريم وفي السنة ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦، فقد فسرت الزيادة بأنها النظر إلى الله تعالى، كما ذهب إليه علماء السلف[3].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ المطففين ١٥ – ١٧، يقول الدرامي: "ففي هذا دليل أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن عز وعلا، وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه"[4].

ومن السنة ما جاء عن جرير قال: "كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا)[5].

وكذا ما جاء عن أبي هريرة: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»[6].

---

(١) ينظر: الحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، ص٢٠-٢١.

(٢) ينظر: الرد القويم البالغ، على الخليلي الإباضي، أ.د. علي بن محمد الفقيهي، دار المآثر، المدينة النبوية ص(٣٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، تحقيق سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٢٦٢).

(٤) ينظر: الرد على الجهمية، الدارمي، دار إبن الأثير – الكويت ص ٤٥.

(٥)صحيح البخاري (١/ ١١٥) (٥٥٤)،صحيح مسلم (١/ ٤٣٩) (٦٣٣).

(٦)صحيح البخاري (٩/ ١٢٨) (٧٤٣٧)،صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٩) (٢٩٦٨).

فلا اعتبار لكلام هؤلاء المبطلين في نفي الرؤية مع قول الله عز وجل وقــول الرســول الكريم وقول السلف الصالح الذين لهم القدم الراسخة في العلم.

وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفــون بالإمامــة فــي الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة[١].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن رؤية الله تعالى تعتبر عند السلف أمراً معلوماً مــن الدين بالضرورة لا يمارى فيها أحد منهم بعد ثبوتها في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيــه صلى الله عليه وسلم وفي أقوال الصحابة رضي الله عنهم وفي أقــوال علمــاء الــسلف قاطبة -رحمهم الله تعالى-.

(١) ينظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ط دار السلام (ص: ١٨٩).

المبحث الثاني

علاقة الإباضية بالمعتزلة والشيعة، وموقف أهل السنة منهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة الإباضية بالمعتزلة والشيعة. وفيه فرعان:

الفرع الأول: علاقتهم بالمعتزلة.

يشترك الأباضية مع المعتزلة في كثير من أصول المسائل العقدية،مما يدل على تداخل مذاهبهم وتشابه شبههم وتأثر بعضهم ببعض، وقد لوحظ هذا فيما سبق، وسأذكر هنا بإيجاز جملة من أهم المسائل التي تأثر فيها الإباضية برأي المعتزلة:

١- تقديم العقل على النقل، وقد صرح به بعضهم، ويبدو هذا جليا من خلال تأويلهم ظواهر النصوص عند معارضتها للعقل، وهو مذهب المعتزلة[١].

٢- تعطيل الصفات الإلهية، فهم يتفقون مع المعتزلة في تأويلها، فقالوا: إن صفات الله هي عين ذاته[٢].

٣- إنكار رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وهذا ما ورثوه من المعتزلة، وتشبثوا بشبههم[٣].

٤- اعتبار مرتكب الكبيرة كافرا مخلدا في النار، إن مات ولم يتب منها، وهم بهذا يتفقون مع الخوارج والمعتزلة[٤].

٥- إنكار الشفاعة لعصاة الموحدين؛ بناء على ما تقدم من كونهم مخلدين في النار[٥]، تبعا للمعتزلة[٦]، وردوا أحاديث الشفاعة.

٦- رد أحاديث الآحاد وعدم الاحتجاج بها في العقائد، وفاقا للمعتزلة[٧].

ومن هنا يعلم أن الإباضية تأثروا بالمعتزلة تأثرا كبيرا، ولذلك قال الذهبي في كتابه العرش: "وأفكار المعتزلة يحملها اليوم كل من: الرافضة الإمامية، والزيدية، والإباضية، وكذلك من يسمون بالعقلانيين"[٨].

---

(١) ينظر: صفحة سابقة من البحث.

(٢) ينظر: صفحة سابقة من البحث.

(٣) ينظر: صفحة سابقة من البحث.

(٤) ينظر: صفحة سابقة من البحث.

(٥) ينظر:مشارق أنوار العقول، نور الدين السالمي ص٢٨٧.

(٦) ينظر:مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري (ص: ٤٧٤).

(٧) ينظر: صفحة سابقة من البحث.

(٨) ينظر: العرش،الذهبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة (١/ ٥٢).

الفرع الثاني: علاقتهم بالشيعة.

كما وافق الإباضية المعتزلة، وافقوا أيضا الشيعة في جملة من مسائلهم، ونورد هنا مجموعة من أهمّها:

١- أنهم يطعنون في عثمان رضي الله عنه، مما أجمعت الأمة على الترضي عنهم والثناء عليهم، وهذا يوافق مذهب الرافضة(١).

٢- إنكار رؤية الله، وهو أيضا قول الرافضة(٢).

٣- أنهم لا يقيمون صلاة الجمعة في مرحلة الكتمان؛ لأنهم يشترطون وجود الإمام لها، وقد كان جماعة يتركون الجمعة لوقت قريب(٣). وعلى هذا فهم يقاربون مذهب الرافضة الذين يشترطون لها وجود الإمام المعصوم.

٤- أنهم يرون التقية مشابهة للرافضة(٤)، مع خلاف في بعض تفاصيلها، وذلك لأنهم أقلية بين المسلمين، وعندهم أن من التقية كتم أحكامهم القاسية تجاه المخالفين الآخرين(٥).

وبهذا وما سبق يتضح أن الفرقة الإباضية قد ورثوا هذه البدع والضلالات من المعتزلة الشيعة وغيرهما. وهذا ما صرح به أحد علمائهم المعاصرين في كتابه الحق الدامغ، من أن الإباضية تشارك في هذه الأفكار الجهمية، والمعتزلة، والزيدية، والإمامية من الشيعة(٦).

الفرع الثالث : موقف الإباضية من الخوارج

يرى الإباضية أنهم ليسوا من الخوارج بدليل أنهم قاتلوا " الصفرية" من الخوارج بالقيروان، عندما أحتلوها وقاوموهم بشدة.

كما يقول يحيى بن معمر الإباضي: " إن الإباضية ليسوا من الخوارج؛ لأن الخوارج لا تطلق إلا على أولئك الذين خرجوا من الدين، أما الخروج عن إمام والثورة عليه فلا يمكن أن يُعتبر خروجاً من الدين، وإنما الخارجون على الإمام يُعتبرون بُغاة يجب تأديبهم ومقاتلتهم لإرجاعهم إلى الأمة، ولا يكفرون ولا يسمون خوارج"(٧).

---

(١) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٦١)، مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري (ص: ١٠٢).

(٢) ينظر: الرد القويم البالغ على الخليلي الإباضي،أ.د. علي بن محمد الفقيهي (ص: ٣٢).

(٣) ينظر: جوهر النظام، السالمي، مكتبة التراث (١/٨٨، ٩٠).

(٤) ينظر: مشارق أنوار العقول، نور الدين السالمي (١/٤٥، ٥٥).

(٥) ينظر: مشارق أنوار العقول، نور الدين السالمي (١/٤٥، ٥٥).

(٦) ينظر: الحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، ص٣٢.

(٧) علي بن يحيى بن معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص٣٤، ٣٥.

وكما تقدم ذكره في التمهيد أن (عبدالله بن إباض) كان من الخوارج، ومن أتباع نافع بن الأزرق، ولكنه اختلف معهم ومع مبادئهم، ولما علم بمقالة نافع بن الأزرق التي بعثها إلى (نجدة بن عامر، وعبدالله بن الصفار)، وفيها يدعوهم إلى التمسك بمبادئه وبيّن فيها أهم آرائه الغالية في القعدة، وتكفير نافع؛ ونكّل من خالف مبادئه، رفض عبدالله بن إباض مقالته، وقال:" قاتله الله أي رأي رأى، فقد كذب وكذبنا فيما نقول، إنما القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم بُراء من الشرك، فلا تحل لنا إلا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو حرامٌ علينا"(١).

وأما ما ذكره نافع بن الأزرق في مقالته هذه التي رفضها عبدالله بن إباض، ففيها يقول لنجدة

وقد رفض ابن إباض مقالة نافع، ولذا فإننا نرى أن الصلة بين الإباضية والخوارج صلة تاريخية قديمة، وإن كان هناك اختلاف بين ابن إباض وبين الأزراق في غالب مبادئه، ولكن هناك صلات متعددة بينهم وبين الخوارج في كثير من العقائد كما ورد.

وبيّن ذلك أيضاً بتكفيرهم لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومنهم عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم، وقد أجمع أهل السنة على أنه لا يجوز الطعن في الصحابة.

وفي رسالة ابن إباض يتبين لنا بأنه وشيعته من الخوارج فيقول : " وكتبت إلى (يقصد عبدالملك بن مروان) تعرض بالخوارج وتزعم أنهم يغلون في دين الله ويتبعون غير سبيل المؤمنين، ويفارقون أهل الإسلام.. ويعد علم من عرفهم وعرف حالهم، أنهم كانوا أحسن عملاً وأشد قتالاً في سبيل الله، هذا خبر الخوارج، شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء، ولمن والاهم أولياء، فبألسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونُبعث عليه عند ربنا، ولكنه يتبرأ لفرقة واحدة من فرق الخوارج، وهي فرقة نافع بن الأزرق، فتبرأ منه حين ارتد وكفر بعد إسلامه، فنبرأ إلى الله منهم"(٢).

كما رأينا في رسالته لنجدة يدافع عن الخوارج دفاعاً حاراً، ويرى بأنهم على الحق والصواب.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤/ ١٦٨).

(٢) الإباضية، لعمر النجار، مكتبة الثقافة الدولية، القاهرة، ص٢٠.

ويقول أبو الفضل البرادي: " إن الإباضية يعتقدون أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ويجوز مناكحتهم وموارثتهم، والغنيمة من أموالهم حلال وما سواه حرام" .

المطلب الثاني: أهل السنة والإباضية.

إن الأباضية كغيرهم من أهل البدع لهم عقائد خالفوا فيها منهج أهل السنة والجماعة ووافقوا فيها من على شاكلتهم من المبتدعة الضلال .

وقد أجمعت كتب الملل والنحل والفرق على أن آراءهم – أي: الأباضية – تمثل آراء الخوارج، كما تقدم[١].

وعليه فإن جمهور العلماء على أن الخوارج فرقة ضالة مبتدعة إلا أنهم ليسوا بكفار، قال ابن بطال: "ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين"[٢].

وقال الشاطبي في هذا: "وقد اختلف الأمة في تكفير هؤلاء الفرق أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر، وبحسب الأثر؛ "عدم القطع بتكفيرهم"، والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم".ثم استشهد بما جرى لهم مع علي وعمر بن عبدالعزيز، قال: "فإنه لما اجتمعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهيجهم علي ولا قاتلهم، ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم"[٣].

والقول بعدم تكفيرهم هو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد أورد حول الحكم على الخوارج نقاشا طويلا، خلص منه إلى أنهم ليسوا كفارا ولا مرتدين، وإنما هم فئة باغية، وأورد حججا على صحة ما يراه في هذا الحكم، بما جرى لهم مع علي وابن عباس وغيرهما من الصحابة الذين لم يحكموا بردتهم، بل عاملوهم معاملة المسلمين، خصوصا حين انتهت تلك الحروب التي اشتعلت بينه وبينهم في النهروان، فهو كما يقول: "لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين، كمسيلمة الكذاب وأمثاله، بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم ينكر أحد على علي ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم

---

(١) ينظر: ص١٧ من هذا البحث.

(٢) ينظر: فتح الباري، ابن حجر،دار المعرفة – بيروت (١٢/ ٣٠٠).

(٣) ينظر: الاعتصام،الشاطبي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية (٣/ ١١٥).

يكونوا مرتدين عن دين الإسلام"[١].ويذكر أن عليا لم يحاربهم لأنهم كفار، وإنما حاربهم لدفع ظلمهم وبغيهم[٢] .... إلخ ما أورده رحمه الله.

هذا مع العلم أن الإباضية هم أقرب فرق الخوارج للحق، يقول ابن حزم: "وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة أصحاب عبدالله بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي، وأبعدهم الأزارقة"[٣].

وفرقة الإباضية من الفرق الضالة لما فيهم من البغي والعدوان والخروج على عثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهما.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٤].

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية،ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٥/ ٢٤١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ٢٨٢) و (٣/ ٣٥٢،٣٥٧).

(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل،ابن حزم، (٢/ ٨٩).

(٤) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رئاسة إدارة البحوث للطبع – الرياض فتوى رقم ٦٩٣٥.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

- أن الإباضية من فرق الخوارج بإجماع علماء الفرق غير بعض الباحثين المعاصرين من الإباضية.
- أن الإباضية أقل غلوّا وشدة من بقية الخوارج.
- أنهم أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة.
- أن أبرز مسائل العقدية التي خالفوا فيها أهل السنة ما يلي:

١- تقديم العقل على النقل، عند توهم تعارضهما.

٢- تأويل صفات الله، بقولهم: إنها عين ذاته.

٣- إنكار رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة.

٤- تكفير مرتكبي الكبائر، وتخليدهم في النار.

٥- إنكار الشفاعة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- طعنهم في بعض الصحابة رضي الله عنهم.

٧- توافقهم في باب العقائد لكثير من آراء المعتزلة.

- جمهور العلماء على القول بأنهم فرقة ضالة إلا أنهم غير خارجين من الإسلام.

أهم التوصيات:

١- دراسة الفرق الضالة المعاصرة والمخالفة لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، مع بيان الفروق العقدية بينها وبين العقيدة الصحيحة.

هذا وبالله التوفيق وهو ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله نبينا محمد

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي يحيى معمر، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة.
- الإباضية عقيدة ومذهباً، د. صابر طعيمة ــ دار الجيل – بيروت، ط١.
- الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة وهبة ط ١، القاهرة.
- الإباضية نشأتها وعقائدها، محمد حسن مهدي، ٢٠١١م، ط١، دار الأهلية للنشر.
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، السمائلي، وزارة التراث القومي سلطنة عمان ١٩٧٩م.
- الاعتصام، الشاطبي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- الاعتقاد، البيهقي، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط١.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الطبري، عالم الكتب – لبنان.
- تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف الإسلامية، المغرب.
- جوهر النظام، نور الدين السالمي، مكتبة التراث.
- الحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، مطابع النهضة بمسقط ١٤٠٩ هـ.
- الحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، مطابع النهضة، مسقط.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية.
- ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي، الدار السلفية – الكويت.
- الرد القويم البالغ، على الخليلي الإباضي، أ.د. علي بن محمد الفقيهي، دار المآثر، المدينة النبوية.
- الرد على الجهمية، الدارمي، دار ابن الأثير – الكويت.
- الرسالة التدمرية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

- الرسالة العرشية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.
- الرسالة، الشافعي، مكتبه الحلبي، مصر ط١.
- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض.
- سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- شرح القصيدة النونية، عبد العزيز المصبعي، طبعة عالم الفوائد.
- صحيح البخاري، دار طوق النجاة.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض.
- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى ، تحقيق: د أحمد بن علي المباركي، ط٢.
- العرش، الذهبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة – بيروت.
- الفرق الإسلامية، أ.د. محمود مزروعة، دار الرضا، الجيزة، ط٤.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي – القاهرة.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية؛ المؤلف: مجموعة من العلماء، الناشر: مطبعة المنار.
- مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- مشارق أنوار العقول في العقيدة، نور الدين السالمي، طبعة دار الجيل – بيروت.
- مشارق، أنوار العقول، نور الدين السالمي ، تحقيق عبد المنعم العاني، ط١، دار الحكمة، دمشق.
- المطلب الحميد، عبد الرحمن بن حسن، دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة.
- معارج الآمال على مدارج الكمال، عبد الله بن حميد السالمي، رزواة التراث القومي، سلطنة عمان.
- معالم الدين، عبد العزيز بن إبراهيم الثميني، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).
- الملل والنحل، الشهرستاني دار المعرفة – بيروت ، ط١٤٠٤ه.
- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- موقع أشعة من الفكر الإباضي: http://www.istiqama.net